الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري

الكناية والمجاز المرسل أنموذجا

تحقيق
مصطفى اليوسف الضايع

الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري
الكناية والمجاز المرسل أنموذجاً

الباحث: مصطفى اليوسف الضايع

كلية الآداب – جامعة البعث

الملخص

يتناول البحث الحديث عن الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري من خلال الكناية والمجاز، فأبو العلاء لجأ إلى الكناية لأنه يستطيع من خلالها الابتعاد عن التصريح بالصفة أو ذكر الموصوف، فتنوعت كناياته بين الواضحة والغامضة، مما يدل على قدرته على استخدام الألفاظ والألغاز في التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ موجزة.

كما ساهم المجاز المرسل في التعبير عن أفكاره ومعانيه التي ترجمها على أساس صور مجازية منوعاً في علاقاته التي تربط بين الطرفين.

كلمات مفتاحية:

المعري، الصورة، الفنية، الكناية، المجاز المرسل، علاقات، السببية، الجزئية، ....الخ.

The art image in the poetry of Abu Al-alaa Al-Ma'arr Metonymy and metaphor model

Abstract

-The object of this research is taking about the art image in the poetry of Abu Al-alaa Al-Ma'arry's through metaphor and metonymy. Abu Al-alaa Al-Ma'arry used the metaphor because he was able -by using it- to evade from taking directly about the attribute or about what he describe. So that, his metonymies varies between the obvious and the obscure which Demonstrate his ability to use words and puzzles to express the various meaning by using brief words.Metaphor also contributed to express his ideas and meanings which he translated it as metaphoric images, and he assorted his relations linking the two parties.

المقدمة:

للصورة الفنية مكانة متميزة في الإبداع الأدبي، فهي المكون الرئيسي له، تشمل الأنماط البلاغية المتعددة من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز، وتدل على الصور الذهنية والبصرية التي تتشكل لدى الشاعر، وأبو العلاء رغم أنه شاعر فاقد البصر لكنه متوقد البصيرة، وهو متعدد الثقافات واسع الخيال، وقد اجتمع له من قدرات الفكر والمخيلة، وغنى التكوين والذاكرة وحدة الذكاء، ما جعله يشكل علامة فارقة في فضاء الشعر العربي القديم، واعتمد في أدبه على ذهن تصوري تخلص فيه من هيمنة الأطر الحسية التي تسيطر على المبصرين، فتسامت صوره إلى آفاق تجريدية رمزية تتجاوز المظهر الخارجي المباشر للمرئيات، واتخذ من الصورة الفنية وسيلة لتحقيق ما يريد العقل بلوغه من المعنى في الشعر، والتأثير في المتلقي، وجذب انتباهه، لذلك سأخصص هذا البحث للحديث عن الصورة الفنية في شعره من خلال الكناية والمجاز المرسل.

هدف البحث:

الحديث عن الصورة الكنائية والمجازية المرسلة في شعر أبي العلاء المعري.

محاور البحث:

- **التعريف بأبي العلاء المعري.**
- **الكناية.**
- **المجاز المرسل.**

أبو العلاء المعريّ في سطور (363 – 449 هـ / 973 – 1057 م)[1]

هو "أحمد بن عبدِ الله بن سليمان القُضاعيّ التّنوخيّ المعري، يلقب بالمعري نسبة إلى المعرّة، مسقط رأسه" [2]، وهو ما لقبه به الناس، ومن الألقاب الأخرى التي اختارها هو لنفسه بعد رجوعه من بغداد واعتزاله الناس لقب (رهن المحبسين) وأراد بالمحبسين "منزله الذي احتجب به، وذهاب بصره الذي منعه من مشاهدة الأشياء" [3].

[1]- الزركلي خير الدين: الأعلام، ثمانية أجزاء، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 157/1.

[2]- اليازجي كمال: أبو العلاء ولزومياته، ط1، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 15.

[3]- حسين طه: تعريف القدماء بأبي العلاء، تحقيق: مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 144 – 218.

اعتلّ بالجدري "الذي أذهب بصره سنةَ سبعٍ وستين وثلاثمئة" [1]، وكان له من العمر ثلاث سنوات، غير أنّ المعري كان يحمد اللهَ على حرمانِه نعمة البصر، فلا يرى الحياة و أشياءَها القبيحة، ولعلّ هذا من باب التعزية للنفس كما يقول البعض، في الوقت الذي كثر فيه حُسّاده، و بدأت شُهرته تجوب الآفاق، فهو يقول: "أنا أحمدُ اللهَ على العمى كما يحمدُه غيري على البصر" [2].

نشأ أبو العلاء المعري في بيتٍ صغيرٍ عُرفَ بالعلم والفضل، يقول ابن فضل الله في كتابه مسالك الأبصار: "وأمّا بيته فسادةٌ لهم في الفضلِ رسوخٌ غيرُ منسوخٍ، منهم قضاة الأمة، والفضلاء والأئمة، والحكماء أصحاب العلوم الجمّة، والأدباءُ الناطقون بالحكمة، والشعراء الذين اغتصبوا البحر دُرّه، والفلك نجمه، والخطباء أهل الورع والإثبات الذين أحيَوا السنةَ وأماتُوا البدع" [3]، ويجمع كثير من المؤرخين على أن أبا العلاء من كبار الشعراء الذين أنتجتهم العبقرية العربية، فبرز في العديد من فنون الأدب، وأثرى اللغة العربية بالكثير من الأساليب والصور الفنية التي تدل على عبقريته وأصالته.

وكان أبو العلاء منذ حداثة سنّه يحبُّ التنقُّل والتجوّل، "حيث زعم كثير ممن كتب في أبي العلاء أنه بعد أن أتمّ ما أخذه عن علماء بلده رحل إلى حلب" [4]، كما ذهب "إلى أنطاكيّة وطرابلس واللاذقية، وانتقل فيما بعد إلى بلادِ الرافدين فدخل بغدادَ سنة/ 399/؛ راغباً بطلبِ العلم والاستكثارِ منه ولم يرحلْ إليها لطلبِ دنيا ولا رفد" [5]، ،أما تاريخُ عودته من بغدادَ فقد حدده أبو العلاء في قوله : "عام أربعمئة لستِ ليالٍ بقين من شهر رمضان" [6].

عاش في بلدته المعرة عيشة الكفاف والزهد، دائباً على البحث والتعليم، فأخرج مجموعة من المؤلفات من أهمها ديوان سقط الزند و ديوان لزوم ما لا يلزم ورسالة الغفران ورسالة الملائكة.

---

[1]- الحموي ياقوت: معجم الأدباء، عشرون جزءاً، مطبوعات دار المأمون، راجعته وزارة المعارف العمومية، مصر، الطبعة الأخيرة، 1936، 3 / 108.

[2]- حسين طه: تعريف القدماء بأبي العلاء، ص265.

[3]- حسين طه: تعريف القدماء بأبي العلاء، ص222 .

[4]- الجندي محمد سليم: الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، تعليق وإشراف: عبد الهادي هاشم، ثلاثة أجزاء، بيروت، دار صادر، طبع بإذن من مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، 1991م، 188/1.

[5]- حسين طه: تعريف القدماء بأبي العلاء، ص 542 – 543.

[6]- الجندي محمد سليم، الجامع في أخبار أبي العلاء، 1 / 276.

وقد ظلّ المعري زاهداً في الدنيا معتزلاً إياها طالباً للعلم والاستزادة منه إلى أن تُوفي سنة "تسعٍ وأربعين و أربعمائة، في خلافة القائمِ بأمر الله العباسي وله من العمر نحو ست وثمانين سنة" [1].

ونتيجة الواقع الاجتماعي الذي كان يعيش فيه أبو العلاء والذي لا يستطيع فيه أن يعبر عن الأشياء باللفظ الصريح، فإنه لجأ إلى الكناية التي مكنته من التعبير عن الأشياء التي تعافها النفس ويمجّها الذوق الاجتماعي، كالحديث عن المرأة أو السياسة أو المجتمع ونقد كل منهم، كما كانت الكناية عنده وسيلة أظهر من خلالها مقدرته الفنية وبراعته الأدبية.

الكناية: مظهر من مظاهر البلاغة يستتر فيها المعنى الحقيقي وراء المعنى المجازي، ولا يصل إليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول، لطيف الطبع وصافي الذهن، ويستطيع بها الأديب أن يتجنب ما تنبو الآذان عن سماعه، وهي من أوسع الأساليب التي تيسر للمرء قول ما يريد.

والكناية في الاصطلاح البلاغي هي: "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينه لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، نحو(زيد طويل النجاد) تريد بهذا التركيب أنه شجاع، فتعدل عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول قامة صاحبه ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي هنا، ومن ثمّ يُعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز يكمن في صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية دون المجاز فإنه ينافي ذلك" [2]. وقد تعددت آراء البلاغيين في تحديد مفهومها فمن أقدم من عرض للكناية أبو عبيدة معمر بن المثنى (209هـ) وهي عنده "ما يفهم من سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة" [3].

[1]- تيمور باشا أحمد، أبو العلاء نسبه وأخباره وشعره ومعتقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940، ص 13.

[2]- الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق الدكتور يوسف الصميلي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ص287- 288.

[3]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص397-398.

وهي عند الجاحظ (255هـ) "أسلوب يراد به التعبير عن المعنى تلميحاً لا تصريحاً وإفصاحاً كلما اقتضى الحال، وهو يستعمل الكناية استعمالاً عامّاً يشمل جميع أضرب المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض دون أن يفرق بينها وبين هذه الأساليب" [1].

وقد جعل قدامة بن جعفر (337هـ) الكناية نوعاً من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، وأطلق عليها مصطلح (الإرداف) والمراد به عنده "أن يريد الشاعر دلالةً على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدالّ على ذلك المعنى بل بلفظٍ يدلُّ على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلَّ على التابع أبان عن المتبوع" [2].

وربما كان عبدالقاهر الجرجاني هو صاحب التعريف الأوفى فقد ذهب إلى أن المقصود بالكناية "أن يريد المتكلم إثبات معنىً من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيءُ إلى معنىً هو تاليه وردفه في الوجود، فيوحي إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة وقولهم: (كثير رماد القدر) يعنون كثير القِرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفةٌ مخدومةٌ لها من يكفيها أمرها. فقد أرادوا في هذا كله كما نرى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه من الوجود وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر، وإذا كانت المرأة مترفةً لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى" [3] ؟.

والكناية عند المعري بحسب رأي الحمصي نوعان: كناية مبتكرة، و كناية محفوظة.

1- الكناية المبتكرة: "هي وليدة قريحة المعري وذهنه المتوقد وإحساسه المتوفر وثقافته الواسعة بالعربية، وهي أولاً وآخراً بنت السليقة الصحيحة والغريزة الأصلية والطبع السليم والشعور الصادق، ولقد رضع المعري لبان العربية صبياً ويافعاً وكهلاً، ووعاها اطلاعاً

[1]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص398-399.
[2]- ابن جعفر قدامة: نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 157.
[3]- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة،2004، ص 66 .

وحفظاً وبحثاً، فانثالت على لسانه أصالةً وحيويةً وابتكاراً مما منحه القدرة على الابتداع والابتكار" [1].

2- وأما الكناية المحفوظة: فهي "ثروة المعري المحفوظة التي يعرفها كل من اطلع على آثاره، ولا تكاد الكنايات التي استعملها وحفظها تحصى" [2].

وقد وصف الحمصي كنايات المعري " بالإيجاز والوضوح والطرافة" [3].

وللمعري طرائق في بناء الكنايات تشمل الآتي:

1- "إقامة نوع من علاقة النسب بين طرفي الكناية: ويعتمد فيها على ملاحظة علاقة ثابتة بين طرفي الكناية، كأن يكون أحد طرفيها أصلاً والآخر فرعاً لذلك الأصل، كما هو الحال في علاقة البنوة فيدعو الفرعَ ابنَ الأصل" [4].

كقوله في مدح الشريف أبي إبراهيم العلوي:

يا بْنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّفُوفِ بِبَدْرٍ وَمُبِيدِ الجُمُوعِ مِنْ غَطَفَانِ [5]

فكنّى بمستعرض الصفوف ومبيد الجموع عن سيدنا علي رضي الله عنه، وافترض نسبته إليه، فالممدوح علوي كأنه أحد أبناء سيدنا علي رضي الله عنه.

أو "كأن يقوم بين طرفي الكناية رباط من الاقتران والمصاحبة، كما هو الحال في علاقة الأخوة" [6]. كقوله:

أعيلُ فيها كأخي لِبْدةٍ عائلِ شبلَيْن حليفٍ لعيْلْ [7]

---

[1]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1407هـ - 1986 م، ص128.

[2]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص132.

[3]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص129.

[4]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص130.

[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، بإشراف الدكتور: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1406 هـ - 1986 م، طبعة ثالثة مصورة عن نسخة دار الكتب، 1364هـ - 1945 م، ص 443.

[6]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص130.

[7]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1936. أعيل: أتبختر، والعيل: التبختر.

فكنَّى عن الأسد بأخي لبدة مرة وبحليفٍ لعيلٍ مرة أخرى في بيت شعري واحد، وخصَّ الأسد العائل لأنه أفرس ما يكون إذا كان مشبلاً. وحليف لعيل تدلُّ على المصاحبة.

وقوله أيضاً:

أَبَا فُلَانٍ دَعَاكَ اللهُ مُقْتَدِراً أخا المكارِمِ وابنَ الصَّارِمِ الخَلِسِ [1]

فقوله: (أخا المكارم) تدلُّ على المصاحبة.

2- "إضافة ما يشعر بالملكية أو المصاحبة إلى شيءٍ من لوازم المكنَّى عنه: نحو إضافة مثل هذه الألفاظ إلى شيءٍ من متعلقات المكنَّى عنه: (ذي – رب – صاحب – خِدْن....)" [2].

كقوله في البيت السابق(حليف لعيل)، وكقوله في البيت التالي في مدح ولدي الشريف الطاهر الموسوي:

أَنْتُم ذَوُو النَّسَبِ القَصِيرِ فَطَوْلُكُمْ بَادٍ عَلَى الكُبَرَاءِ وَالأَشْرَافِ [3]

فقد أضاف ذوو إلى النسب ليتم الكناية، وهذه كناية عن شهرة الممدوح وذيوع ذكره.

3- "الكناية بالإضافة اللفظية: حيث يختار المعرِّي أكثر أفعال المكنى عنه لزوماً له، ثم يعبِّر عنها بإضافة مشتق إلى معموله إضافةً لفظيةً" [4]. كقوله:

رَآها سَلِيلُ الطِّينِ والشَّيْبُ شَامِلٌ لَهَا بالثُّرَيَّا والسمَاكَيْنِ وَالوَزْنِ [5]

فأضاف كلمة سليل إلى الطين ليشكل الكناية المقصودة وهي كناية عن سيدنا آدم عليه السلام، ووصفُ سيدنا آدم عليه السلام بأنه سليل الطين وصف قديم، وأبو العلاء ينحو منحى سابقيه في هذه الكناية.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 711. الصارم الخلس: الذي يختلس الأرواح.
[2]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص131.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1302.
[4]- الحمصي محمد طاهر: مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص132.
[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص913.

وقد اتسمت كنايات المعري بالوضوح حيناً وبالغموض حيناً آخر، ومن أمثلة كناياته الواضحة قوله عن الدنيا:

عَلَى أُمِّ دَفْرٍ غَضْبَةُ اللهِ، إنَّها لَأَجدَرُ أَنْثَى أَنْ تَخُونَ وَأَنْ تُخْني [1]

فالدفر: النتن، وأم دفر: كنايةٌ عن الدنيا، فهي نتنةٌ في نظره، والمعري لا يكاد يذكر الدنيا بغير تلك الكنية، وهو كثيراً ما يلحقها بسماتٍ أخرى نحو قوله في اللزوميات ناسباً إليها سمة اللؤم والعنف مع البشر:

عرفْتُ مِنْ أمِّ دَفْرٍ شيمةً عَجَباً دلّتْ على اللّؤْمِ وهْيَ العُنْفُ بالخَدَمِ [2]

كما كنى بأم ليلى عن الخمرة بقوله:

تَوخَّ بهجْرٍ أمَّ ليْلَى فإنها عجوزٌ أضلَّتْ حتّى طَسْمٍ ومارِبِ [3]

ولما رثى الشريف الطاهر الموسوي والد الشريفين الرضي والمرتضى كان حزيناً عليه ولكنه لم يصرح بذلك مباشرة إنما ألمح إلى ذلك من خلال الكناية فقال:

رَغَت الرُّعُودُ وَتِلْكَ هَدَّةُ وَاجِبٍ جبلٍ هَوَى مِنْ آل عَبْدِ مَنَافِ [4]

فقد كنّى عن المتوفى بجبل انهدَّ من بني عبد مناف وهذه كنايةٌ عن موصوفٍ ودليلٌ على عظيم مكانة المرثيّ وعلوِّ شأنه.

وكما برع في فن الرثاء أبدع كذلك في المديح، وله العديد من القصائد التي مدح بها الأمراء دون أن يتكسب بشعره، ودون أن يُصرِّحَ بذلك مباشرةً، فهو إذا أراد مدح الأمير سعيد الدولة لم يُصرِّح بذلك مباشرةً بل يلجأ إلى الكناية ليُعبِّرَ عن شجاعته وقوَّتِهِ وقوَّةِ خيله وفرسه ومضاء سيفه، فيقول:

---

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص912.

[2]- المعري أبو العلاء: شرح لزوم ما لا يلزم، ثلاثة أجزاء، تحقيق: سيدة حامد ومنير المدني وزينب القوصي ووفاء الأعصر، إشراف ومراجعة الدكتور حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1992-1994م، 155/3.

[3]- المعري أبو العلاء: شرح لزوم ما لا يلزم، 173/1.

[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1267.

مُكَلِّفُ خَيلِهِ قَنْصَ الأعادِي وجَاعِلُ غابِهِ الأسَل الطِّوالا [1]

ففي البيت كناية عن الموصوف الأمير سعيد الدولة، وكناية عن صفة القوة والإقدام في خيله.

كما كنّى عن إقدام خيل ممدوحه في قصيدة أخرى بقوله:

مِنَ الجِيَادِ اللَّوَاتِي كَانَ عَوَّدَهَا بَنُو الفُصَيصِ لِقَاءَ الطَّعْنِ بالثُّغَرِ [2]

ففي قوله: (عوّدها لقاء الطعن بالثغر) كنايةٌ عن إقدام خيل ممدوحه في الحرب وقدرتها على خوض المعارك ومحاربة جيوش الأعداء.

وهناك العديد من الكنايات التي وصف بها أدوات الحرب من سيفٍ ورمحٍ ودرعٍ كقوله:

سَلِيلُ النَّارِ دَقَّ ورَقَّ حَتَّى كَأَنَّ أباهُ أورَثَهُ السُّلَالَا [3]

فالكناية في قوله (سليل النار) دالَّةٌ على موصوفٍ وهو السيف، وقد ينصرف الذهن لدى البعض إلى أن الموصوف هو الدرع لأنه هو الآخر سليل النار، لكن كلمتي (دق – رق) المجانس بينهما تردّان المعنى إلى السيف إذ إنَّ الدرع مما يتصف بالسبوغ وليس الرقة.

ومن صور الكناية التي وصف الرمح بها قوله:

وذِي ظَمَأٍ ولَيْسَ به حياةٌ تَيَقَّنَ طولَ حامِلِهِ فَطَالَا [4]

يقول الخوارزمي: "عنى بذي ظمأ: ذابلاً من الرماح، لأن الذبول يتبع الظماء، وقد وصف الرمح بالطول لأنهم بطول الرمح يفتخرون، وهذا لأن كون الرجل طويل الرمح فهذه كناية عن قوته وامتداده، كما أن كونه طويل النجاد كنايةٌ عن طوله وامتداد قامته" [5].

أما إذا أراد أبو العلاء أن يصف الليل ويصوِّر مشاهده فإنه يبدع في ذلك، وإبداعه مرتبطٌ بحالته النفسية، وفي إحدى القصائد التي يمدح بها أبا الفضائل سعيد بن شريف بن عليّ

[1] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 42. الغاب: جمع غابة وهي الأجمة، والأسل: الرماح.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 148 .
[3] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص98. السُّلال: داء السّل.
[4] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص105.
[5] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص107.

بن أبـي الهيجـاء يقول متحدِّثاً عن خيلـه التـي تسير فـي الليل و تتخذ من أم النجوم درعاً تحمي به نفسها فيقول:

كَـأَنَّ اللَّيْلَ حَارَبَهَـا فَـفِيـهِ هلَالٌ مِثْلُ مَا انعَطَفَ السَّنَانُ

وَمِنْ أُمِّ النُّجُومِ عَلَيْهِ دِرْعٌ يُحاذِرُ أَنْ يُمَزِّقَـهَا الطِّعَّانُ [1]

يقول البطليوسي: "فكأن الليل خشي الممدوح وخيله وظنَّ أنها تريد محاربته فلبس درعاً من النجوم وأشرع سناناً من الهلال، والعرب تسمي المجرة أم النجوم لكثرة النجوم المجتمعة فيها، وأم كل شيء: أصله" [2]، فكنَّى بأمِّ النجوم عن المجرَّة.

كما كنَّى المعري عن الثريا بذات العرش فقال في موضع آخر:

وَتَعْرِضُ ذَاتُ العَرْشِ بَاسِطَةً لَهَا إلَى الغَرْبِ فِي تَغْوِيرِهَا يَدَ أَقْطَعِ [3]

يقول التبريزي : "قولـه (ذات العرش) يعنـي بـه الثريـا، وللثريـا فيمـا تـزعم العرب كفـان: إحداهما الخضيب، والأخرى: الجذماء، وهـي القطعـاء، وتغويرها: ميلها للغروب. و(يد أقطع): يراد بها الجذماء من كفيها" [4].

وللمعري العديد من الكنايات التي يتحدث فيها عن الليل وطوله واشتداد ظلمته ومنها قوله:

بِلَادٌ يَضِلُّ النَّجْمُ فيهَا سَبِيلَهُ وَيَثْنِي دُجَاهَا طَيْفَهَا عَنْ لِمَامِهِ [5]

إنما قال: "يضل النجم فيها طريقه، لأن النجم يضرب بـه المثل في الهداية، فيقال: أهدى من النجم" [6]. ولكنـه ضلّ طريقه لشدة الظلام، وضلاله كناية عن اشتداد الظلام وعدم قدرته على العودة لمكانه.

كما قال أيضاً في موضع آخر:

[1] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص212.
[2] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص212 - 213.
[3] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1524.
[4] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1524.
[5] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص499.
[6] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص500.

وَأَثْبَتُ النَّاسِ قَلْباً فِي ظَلَامِ سُرى ولا رَبِيئةَ إِلَّا مِسْمَعُ الفَرَسِ [1]

يقول الخوارزمي: "الفرس موصوف بحدة السمع والمصراع الثاني كناية عن اشتداد الظلام وتكاثفه" [2].

ومن كناياته عن طول الليل أيضاً:

قَدْ رَكَضْنَا فِيهِ إلى اللَّهْوِ لَمَّا وَقَفَ النَّجْمُ وِقْفَةَ الحَيْرَانِ

قَدَمَاهُ وَرَاءَهُ وَهوَ فِي العَجْـ ـزِ كَسَاعٍ لَيْسَتْ لَهُ قَدَمَانِ [3]

يقول الخوارزمي: "قوله وقفة النجم حيران كناية عن طول الليل وامتداده" [4]، والحيران يطيل الوقوف كما أطاله النجم، وفي البيت الثاني إشارة إلى طول الليل فجعل كواكبه لطوله كأنها لا تبرح مكانها.

وقد يجمع أبو العلاء بين اشتداد الظلام وطول الليل في كنايتين اثنتين ببيت واحد كقوله:

بِخَرْقٍ يُطِيلُ الجُنْحُ فِيه سُجُودَهُ وَلِلأَرْضِ زِيُّ الرَّاهِبِ المُتَعَبِّدِ [5]

ففي الشطر الأول كنّى عن طول الليل بطول سجوده، وجعل زيّ الراهب في الشطر الثاني كناية عن شدة الظلام.

وفي مقابل هذه الكنايات هنالك كنايات أخرى كان المعري ينحو بها منحى الغموض لأنه يميل إلى الإكثار من الألغاز والإيهام في استخدام الألفاظ والتصرف بها، خصوصاً في استخدام المشترك اللفظي الذي اختزنت حافظته الكثير منه، ومن أمثلة هذا النمط ما قاله متحدثاً عن زائرته أثناء إقامته ببغداد عند أبي أحمد عبد السلام بن الحسن البصري صاحب الدولة، يقول:

وَطَارِقَتِي أُخْتُ الكَنَائِنِ أُسْرَةٍ وَسِتْرٍ وَلَحْظٍ وابْنَةِ الرَّمْيِ أَرْبَعِ [6]

[1] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 693.
[2] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص693.
[3] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 426، 437.
[4] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 427.
[5] - المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 374. الخرق من الأرض: الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح.
[6]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1493.

يقول البطليوسي: "أراد أن محبوبته طرقته في النوم وكان اسمها عاتكة، و عاتكة اسم للقوس التي تقادم عليها الزمان فاحمرت، والقوس توصف بأنها أخت الكنانة وهي جعبة السهام، فولّد من ذلك معنىً طريفاً، فذكر أنها أخت أربع كنائن، وشرح الكنائن الأربع بقوله: أسرة وستر ولحظ وابنة الرمي، أراد أنها كنانية الأسرة والقبيلة أي من بني كنانة، و كنانية الستر أي مكنونة مستورة، و كنانية اللحظ أي الألحاظ التي تشبه السهام التي تشتمل عليها الكنائن، وابنة الرمي: كنانة النبل، وجعلها أخت ابنة الرمي من حيث كانت تسمى عاتكة، وعاتكة: القوس، وهي أخت كنانة النبل" [1]. فقد كنى عن محبوبته التي زارته في النوم بهذه الكنايات الأربع .

وربّما ارتبط غموض الكناية بتعدد صيغها وكثافة حضورها ضمن سياق الأبيات المتتابعة، ومن أمثلة هذه الظاهرة قول المعري:

إذَا مَـا أَنَخْـنَـا حُـرَّةً فَـوَقَ حَـرَّةٍ بَكَى رَحْمَةَ الوَجْنَاءِ مِنْها وَجِينُـهـا

أَرَنَّتْ بِهَا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ رَنَّـةً فَـدَلَّ عَلَيْهـا النَّـاعِبَـاتِ رَنِـيـنُـهـا

يَعِـزُّ عَلَيْنَا أَنْ يَـظَـلَّ ابـنُ دَأْيَـةٍ يُـفَـتِّـشُ ما ضُمَّتْ عَلَيـهِ شُؤُونُـها

رَحَلْنَا بِهَا نَبْغِي لَهَا الْخَيْرَ مِثْلَـنَا فَمَا آبَ منها إلّا كُـورُهَا وَوَضِينُـهَا [2]

فهذه الناقة توجعت من خشية الموت فكان ذلك شراً عليها لأن الناعبات جاءتها من كل جهة تريد أن تأكل منها. وفي الأبيات ثلاث كنايات متتابعة فابن دأيّة كناية عن الغراب، وقوله: ما ضمّت عليه شؤونها كناية عن دماغ الناقة، وقوله: فما آب منها إلا كورها ووضينها كناية عن موتها.

وقد يكني المعري عن الموصوف الواحد بصيغتين في بيت واحد كقوله:

أَرْضَعَتْهَا أُمُّ الشِّرَارِ فَمَا تَعْـــ ـــرِفُ إلّا أَنِيسةَ اللَّيلِ ظِيرَا [3]

---

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1493.

[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص890 – 891 – 892 . الوجناء: الناقة العظيمة وجنتي الخد أو صلبة من الوجين: وهي الأرض الصلبة، والكور: الرحل، والوضين: الحِزام.

[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1784.

فقد كنى عن النار بأم الشرار و بأنيسة الليل.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله في رثاء والده:

مَضَى طَاهِرِ الجُثْمانِ والنَّفْسِ والْكَرَى وَسُهْدِ المُنَى والجَيْبِ والذَّيْلِ والرُّدْنِ [1]

يقول البطليوسي: "طهارة الجيب كنايةٌ عن سلامة الصدر من الغلِّ والحسد ونحوهما، وطهارة الذيل كنايةٌ عن عفة الفرج، وطهارة الردن (الكُمّ) كنايةٌ عن قبض اليد عما لا يحلُّ أخذه" [2].

ومما كتب به إلى أبي أحمد الإسفراييني عند دخوله بغداد قوله مادحاً نفسه:

اِسْمَعْ أَبَا حامِدٍ فُتْيَا قُصِدْتَ بِها مِنْ زَائرٍ لِجَمِيلِ الوُدِّ مُبْتَاعِ

مُؤَدّبِ النَّفْسِ أكَّالٍ عَلَى سَغَبٍ لَحْمَ النَّوائبِ شَـرَّابٍ بأَنْقَاعِ [3]

ففي قوله: (أكّال على سغب لحم النوائب، شرّاب بأنقع) كنايةٌ عن ممارسته لحوادث الدهر وتذوقه مرارتها وهي كنايةٌ عن صفة.

أما مشاهد الغزل ووصف النساء في الصور الكنائية لدى أبي العلاء فنجدها تميل إلى العفة وعدم الفحش في الكلام بشكل عام فهو لا يبوح بما يبوح به بعض الشعراء، ولجوء أبي العلاء إلى الكناية في غزله أمر حتّمته طبيعته البشرية، ولكنه لم يفصح بما أفصح به المحبون المبصرون من وصف مفاتن المرأة ومحاسنها التي تتصف بها، بل ألمح إلى ذلك إلماحاً وأشار إليه إشارة من خلال الكناية، ومن أمثلة ذلك قوله مهنئاً أحد ممدوحيه بعروسه:

يَا لَهَا نِعْمَةً وَلَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ تَحُوزَ الشُّمُوسُ رقّ البُدُورِ [4]

فالشموس كناية عن الرجال، والبدور: كناية عن النساء، ووجود كنايتين في بيت واحد يدل على قدرة أبي العلاء على تطويع اللغة.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص909.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص910.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص753.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 228.

وفي قصيدةٍ أخرى يقول مهنئاً أيضاً:

كَأَنَّها سِرُّ الإلهِ الَّذِي عِنْدَكَ دُونَ الناسِ يُسْتَكْتَمُ [1]

يقول البطليوسي: "فكأنها سر الله الذي حجبه عن الناس وأطلعك عليه" [2]، فهذه كناية عن أن هذه المرأة محجوبة عن جميع الناس إلا عن زوجها الملك، ولقد أحسن حيث ضمن الكناية شيئاً من التشبيه.

وإذا تستّر أبو العلاء بالكناية ليعبر عما لا يستطيع التعبير عنه، فإنه اعتمد على المجاز المرسل في تأدية المعنى المراد بكل إيجاز، واستعان به في رسم صوره الفنية، من خلال علاقات تربط بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، فحقق بذلك شيئاً من المبالغة الحسنة دون أن يجنح إلى التكلف أو التصنع، مما ساهم في إبراز معانيه التي أرادها من خلال صور المجاز المرسل.

المجاز المرسل: "هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي" [3].

والقرينة هنا "هي التي توضح المعنى المراد، وهي التي تكشف العلاقة بين المعنى الوضعي والمعنى المجازي، و هي إما لفظية تعرف من خلال اللفظ نحو: رعت الماشية الغيث، أو حالية تفهم من واقع الحال كقوله تعالى(يجعلون أصابعهم في آذانهم)" [4].

والعلاقة بين (الغيث و النبت) في المثال الأول علاقة سبب بمسبب، و الذي حدد المعنى الجديد لكلمة الغيث فأصبحت تعني (العشب أو النبت) وجود القرينة (رعت)، كما أن العلاقة بين (الأصابع والأنامل) هي علاقة الجزء بالكل، والقرينة التي تفهم من واقع الحال هي التي حددت المعنى.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 847.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص847-848.
[3]- الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 252.
[4]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 350 - 351.

و يسمى المجاز المرسل مرسلاً "لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة تردد بين علاقاته بخلاف المجاز الاستعاري فانه بعلاقة المشابهة" [1]، وعلاقات المجاز المرسل كثيرة لا داعي للاستطراد فيها إنما نذكر بعضها على سبيل التذكر و منها، "السببية، المسببية، الجزئية، الكلية، اعتبار ما كان، اعتبار ما سيكون، الحالّية، المحلية....الخ" [2].

وتكمن بلاغة المجاز المرسل في تأديته المعنى المقصود بإيجاز، إضافة إلى التصوير الحسي الذي يمنح التركيب القدرة على التأثير في المتلقي بفاعلية أكبر، وقد استعان المعري بالمجاز المرسل في رسم صوره الفنية، منوعاً في علاقاته ومنها:

1- السببية: وهي من أشهر العلاقات التي تواردت عليها الكتب وتعني "تسمية المسبب باسم السبب، حين يقوى في تصورنا تأثير السبب في المسبب، ونريد البيان عن ذلك" [3]، ومن ذلك قولنا (رعت الإبل الغيث)، فالإبل لا ترعى الغيث، وإنما النبات المسبب عن الغيث، والعلاقة بين الغيث والنبات علاقة سببية، والقرينة التي دلت على المجاز هي (رعت). ومن أمثلة المجاز المرسل الذي يقوم على علاقة السببية قوله معبراً عن حزنه على فراق والده:

تَئِنُّ وَنَصْبِي فِي أَنِينِكَ وَاجِبٌ كَمَا وَجَبَ النَّصْبُ اعْترافاً عَلَى إِنِّ [4]

يقول الخوارزمي: "هذا من إطلاق السبب على المسبب" [5]، فقد ذكر السبب وهو النصب والتعب بعد فراق والده، وأراد المسبب حادثة وفاة والده، فهذا مجاز مرسل علاقته السببية.

ومن الصيغ المجازية التي يكثر ذكرها في شعره التعبير عن معنى العطاء والقدرة بلفظ (اليد أو الكف)، كقوله:

---

[1]- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ثلاثة أجزاء، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، (ج1، 1403هـ - 1983)(ج2، 1406هـ - 1986م) (ج3، 1407هـ - 1987م)، 3/ 206.

[2]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، 352-----359.

[3]- أبو موسى محمد: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1993م، ص347.

[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 932.

[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 932.

إذَا مَا الغَيْمُ لم يُمْطِرْ بِلَاداً فإنَّ لَهُ عَلَى يَدِكَ اتّكَالَا [1]

فالمجاز في كلمة (يدك)، و المقصود بها العطاء و الفضل و النعم التي يمنحها ممدوحه لمن حوله من الناس، مما دفعهم لأن يستغنوا بجوده و كرمه عن المطر، والسحاب يمسك القطر لأنه واثق بفيض يدي هذا الممدوح، فيدُ الممدوح تتسبب بالنعم و الخير الكثير.

وقد تكون اليد سبباً في إيصال النعم للناس، من ذلك قول المعري:

وتـمـتّـعْ بنضْـرةِ العـيش إذ جـا ءتْك في رونقِ الزمانِ النّضيرِ

خَيْرُ أيْدي الزَّمَانِ عِنْدَ بني الدُّنْـ ـيَا أَتَتْ فِي أَوَانِ خَيْرِ الشُّهُورِ [2]

ذكر الأيدي وأراد النعم لأن اليد هي السبب في منح النعم وتقديم العطايا ونقلها إلى المحتاجين.

ومن المجاز المرسل الذي يقوم على العلاقة السببية قوله يرثي أبا إبراهيم العلوي :

وَلَا تَنْسَنِي فِي الْحَشْرِ وَالْحَوْضُ حَوْلَهُ عَصَائِبُ شَتى بَيْنَ نُمرٍ إلى بُهْم

لَعَـلّـكَ فـي يَـوْم القيـامَـةِ ذَاكِـرِي فَتَسْأَلَ رَبِّي أنْ يُخَفِّفَ مِنْ إثْمي [3]

جاء المجاز المرسل في قوله (إثمي) أي عقابي ليدل على خوفه من العقاب والعذاب وندمه على ما اقترفه من ذنوب، فاستعمل السبب ليدل على المسبب، يقوا الخوارزمي: "وهذا البيت يشهد لقائله بصفاء الاعتقاد، وحسن الإيمان" [4].

2- المسببية: وذلك بأن "يطلق لفظ المسبب ويراد السبب، نحو (أمطرت السماء نباتاً)، فذكر النبات وأريد الغيث، والنبات مسبب عن الغيث أي المطر" [5]، فمن الملاحظ أن كلمة نباتاً لا تتناسب مع أمطرت السماء، لأن السماء تمطر الماء ولا تمطر النبات.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 93.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 226.
ويقول أيضاً موظفاً التعبير نفسه في سياق جوابه لأبي القاسم علي بن الحسين بن جلبات:
إذا أطلعتْ كفاك عارضَ عسجدٍ على سائلٍ لم ترضيا برهامه
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 970.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 970.
[5]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 352 - 353.

وقد وردت هذه العلاقة في معظم السياقات الشعرية التي عرضها المعري في شعره، ومن ذلك قوله في سياق الغزل:

أَرَحْتِنِي فَأَرَحْتِ الضُّمَّرَ القُودَا والْعَجْزَ كَانَ طِلَابِي عِنْدَكِ الجُودَا [1]

يخاطب المعري المرأة التي يتغزل بها وقد أيأسته من الوصال فارتاح من الطلب ومن السفر لأجلها، وبذلك ارتاحت ضامرات الجمال، وكأنه كان يطلب المحال، فجاء المجاز المرسل ليبين لنا مشاعر الشاعر حيث ارتاح لأن أمله قد قطع وعرف مصيره، إذ ذكر الفعل (أرحتني) وأراد السبب وهو قطع الأمل.

وفي سياق وصف الدرع يقول:

عِزٌّ كعز المحصنات أمامه لينٌ كما ضحكت إليك هَلُوك

آلى مضاعَفُها على مجتابها ألا يـمـورَ لـه دمٌ مـسـفـوك [2]

فقد جمعت هذه الدرع بين اللطف واللين والعجز والتحصين، وقد ذكر المسبَّب (عز) وأراد السبب (المنعة)، وأثبت هذا الكلام في البيت الذي يليه بأن لابس هذه الدرع حقاً متحصن فلا يجري له دم ما دام لابسها.

وفي سياق التهنئة يقول:

الطَّارِحِينَ لِخَوْض المَوْتِ لَامَهُمُ سَحْبَ الْأَجِلَّةِ خَلْفَ الضُّمّرِ الشُّمُسِ [3]

فاللام: الدرع، وهم يلقون لامهم ليخف حملهم ويكونوا أسرع في الاندفاع في الحرب، الشاهد في قوله (الموت)، وقد أراد بهذه الصورة المجازية المرسلة (الحرب) لأنها سببه، وذلك ليبالغ في شجاعتهم وهمتهم.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1093. الضمر: الإبل الضامرة، والقود: الطويلة العنق.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1903.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص709.

يمكن القول إن صور المجاز المرسل التي مرت بنا في كلتا العلاقتين فيها ضرب من الإيجاز، لأن "المكلة البيانية التي تتراءى في هذه اللغة ملكة شديدة الميل إلى التركيز، قادرة على اللمح بواسطة القرائن، بارعة أحسن البراعة في الاختصار، وحذف زائد الكلام، والاكتفاء بأصوله المجملة التي تطوي وراءها كثيراً من التفصيل والتفريع" [1].

3- الجزئية: وهي "تسمية الشيء باسم جزئه، وذلك بأن يطلق الجزء ويراد الكل" [2]، ومن أمثلته قول أبي العلاء في قصيدة له في مدح أحد الأمراء يصف خيله القوية:

أَدْمَتْ نَوَاجِذَها الظُّبَا فَكَأَنَّمَا صُبِغَتْ شَكَائمُها بمِثْلِ العَنْدَمِ [3]

فالنواجذ هي أقصى الأضراس وأراد بها هنا الأفواه، وأفواهها قد دميت عند اقتحامها في الحرب، والمجاز في قوله النواجذ مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء وأراد الكل.

ومن أمثلة العلاقة الجزئية قوله في رثاء والده:

أَمَوْلَى القَوَافِي كَمْ أَرَاكَ انْقِيَادُهَا لَكَ الفُصَحَاءَ الْعُرْبَ كَالعَجَم اللُّكْنِ [4]

فالمعري هنا يمدح والده بأنه ممن يقرض الشعر، ولكنه لم يصرح بذلك مباشرة، وإنما أحل كلمة محل كلمة أخرى، فاستخدم (القوافي) بدلاً من الشعر، ومن يجيد وضع القوافي فمن المؤكد أنه يجيد قول الشعر، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء و أراد الكل[5].

وكما عبر بالقوافي عن القصائد عبر كذلك بالروي عن القصيدة، والقصيدة كما هو معروف تنسب إلى الروي الذي تقوم عليه فيقال لامية أو دالية..... الخ، يقول:

---

[1]- أبو موسى محمد: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص 353.
[2]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 353.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 345.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص924.
[5]- وكثيراً ما يستخدم المعري لفظ القوافي للدلالة على الشعر، ومن أمثلة ذلك قوله مخاطباً خاله:
نراسلك التنصح في القوافي وغيرك من نعلمه السدادا

فَاقْتَنِعْ بِالرَّوِيِّ وَالوَزْنِ مِنِّي فَهُمُومِي ثَقِيلَةُ الأوْزَانِ [1]

والروي: "هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال قصيدة همزية كهمزية البوصيري، وسينية البحتري، ولامية العرب" [2]، والروي في هذا البيت هو النون فالقصيدة نونية، ولفظة (الروي) في البيت مجاز كرسل عن القصيدة والعلاقة بينهما جزئية.

كما عبر بلفظ (الوزن) عن الشعر فقال في قصيدة يجيب فيها الشريف أبا إبراهيم موسى بن إسحاق عن قصيدة له يرى المعري في قصيدته قصوراً لا يبلغ قيمة و مكانة قصيدة الشريف فيقول:

وَ كَوْنُ جَوَابِهِ في الوَزْنِ ذَنْبٌ وَلَكِنْ لم تَزَلْ مَولىً صَفُوحَا [3]

فالمجاز في قوله (الوزن) مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء و أراد به الكل، و المقصود بالوزن الشعر الذي أرسله ليجيب الشريف عن قصيدته.

وفي سياق الرثاء قوله في رثاء جعفر بن علي بن المهذب:

فَلْيَذْرِفِ الجَفْنُ على جَعْفَرٍ إذ كانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ [4]

فقد ذكر الجزء وأراد الكل لأن الجفن وحده كجزء من العين لا يبكي وإنما تبكي العين باجتماع كافة أجزائها.

وقد جعل أبو العلاء السماء تبكي مطراً غزيراً حزناً على خاله علي بن محمد الذي سافر إلى المغرب وأطال الغيبة، والسماء عندما تبكي فإنها تملأ المكان مطراً، ولكن أبا العلاء عبر بالجزء(المزاد) عن الكل (الأرض) فقال:

وَيَبْكِي رِقَّةً لَكَ كُلُّ نَوْءٍ فَتَمْلَأُ من مَدَامِعِهِ المَزَادَا [5]

---

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 460.

[2]- فاخوري محمود: موسيقا لشعر العربي، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1416هـ - 1996م، ص 139.

[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 274.

[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1007. النّد: المِثْل.

[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 776.

فالمجاز في قوله (المزادا) وهي جلود يضم بعضها إلى بعض مخروزة يوضع فيها الماء في السفر، ومعنى البيت أن السحاب الذي يطلع يرقّ ويسمح بالماء فتملأ منه المزاد، فأطلق الجزء (المزادة) وأراد الكل (الأرض) فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية.

4- الكلّية: وهي "تسمية الشيء باسم كله، وذلك فيما إذا ذكر الكل وأريد الجزء" [1]، وكان حضورها قليلاً نسبياً قياساً للعلاقات الأخرى، ومن أمثلتها وصف أبي العلاء حاله وهو في العراق حيث شعر بالحنين للمعرة، وسبب حنينه للمعرة هو شعوره بالقلق وعدم الطمأنينة في تلك المفازة رغم سهولتها واستوائها يقول:

في بَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الظَّبْيِ بِتُّ بها كأَنَّنِي فَوقَ رَوْقِ الظَّبيِ مِنْ حَذَرِ [2]

فقد عبر بالكل عن الجزء على سبيل المجاز، حيث ذكر الكل وأراد الجزء، والمجاز مرسل علاقته الكلية.

ومن أمثلة العلاقة الكلية قوله مادحاً قوة رجال بني عامر، وقدرتهم على حمل السلاح:

وَقَدْ أَلِفُوا القَنَا فَغَدَتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمُ أَخَفَّ مِنَ السِّهَامِ

كَأَنَّ بَنَانَةً فِي الكَفِّ زِيدَتْ قنَاةٌ غيرُ جَاذِيَةِ القَوَامِ [3]

فكلمة (بنانه) مجاز مرسل علاقته الكلية حيث ذكر الكل و أراد الجزء. يقول البطليوسي: "قد تعودت أيديهم حمل الرماح فصارت كالبنان فيها لكثرة إلفها لها، و البنان أطراف الأصابع وهذا أصلها ثم تسمى الأصابع كلها بناناً، وهذا من باب تسميتهم جملة الشيء ببعض أجزائه" [4].

[1]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 354.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 131. الروق: القرن.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1454.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1455.

والمجاز عند المعري هو أحد سبل التوسع في فنون القول، و لهذا نراه يضمنه بعض الظواهر التناصية ليزيد من تكثيف العبارة ويغني الإيحاء فيها، ومن الأمثلة التي توضح هذا النهج قوله مخاطباً أهل بغداد:

أَدَرْتُم مَـقَالاً فـِـي الـجِـدالِ بِـأَلْــسُــنٍ خُلِقنَ فَـجَانَبْنَ المضَرَّةَ للنَّفْعِ

سَأَعْرِضُ إنْ نَاجَيْتُ مِنْ غَيْرِكُم فَتىً وَأَجْعَلُ زَوًّا مِنَ بَنَانِيَ فِي سَمْعِي [1]

فالزوّ: الزوج، وزوُّ البنان مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل و أراد الجزء، وهو هنا يوظف المعنى المتضمن في قوله تعالى: (جعلوا أصابعهم في آذانهم)[2]، ليرسم ملامح المبالغة و الإصرار على عدم سماع الكلام.

5- المحليـة: وذلك فيما "إذا ذكر لفظ المحلّ وأريد الحالُّ فيه" [3]. ومن أمثلة العلاقة المحلية أيضاً قوله:

أَمُرُّ بِرَبْعٍ كُنْتَ فِيهِ كَأَنَّمَا أَمُرُّ مِنَ الإكْرَامِ بِالْحِجْرِ و الرُّكْنِ [4]

ومن أمثلته أيضاً قوله:

إذا سَقَتِ السَّماءُ الأرضَ سَجْلاً سَقَاهَا مِن صَوارِمِه سِجَالَا [5]

ففي المثال الأول ذكر (الربع) وقصد مَنْ فيه من الأهل والسكان، وفي المثال الثاني ذكر (السجل) وهو الدلو وأراد ما فيه من الماء.

ومن أمثلة هذه العلاقة قوله في سياق التهنئة:

رَاقَهُم مَنْظَراً وَهَابُوهُ خَوْفاً فَهوَ مِلْءُ الْعُيُونِ مِلْءُ الصُّدُور [6]

فقد امتلأت عيونهم إعجاباً به وإجلالاً له، وامتلأت صدورهم أي قلوبهم مخافة ومهابة منه، فقال (الصدور) وهو يريد القلوب التي في الصدور.

---

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1353.
[2]- القرآن الكريم: سورة نوح، الآية رقم (7).
[3]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 356.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص929.
[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص64.
[6]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص232.

والمجاز عند المعري وسيلة من وسائل التصوير التي تحلق بعقل الإنسان وشعوره بعيداً عن عالم الحقائق، ولهذا نراه يأتي ممتزجاً بالأنماط البلاغية الأخرى، ومن أمثلة هذه الظاهرة قوله:

إذَا ضَحِكَتْ عُجْباً بِهِ كُلُّ بَلْدَةٍ بَكَى مَالُهُ منْ ظُلْمِهِ و اهْتِضَامِهِ [1]

فقد ذكر هنا (البلدة) وأراد مَن فيها من السكان، غير أن التعبير المجازي فيه شيء من التشخيص حيث يصور البلدة تضحك بكاملها سكاناً ومسكوناً فرحاً بهذا الممدوح، و العلاقة بين المعنى الأصلي و المعنى المجازي هي المحلية، وتظهر مبالغة أبي العلاء في وصف كرم الممدوح من خلال الاستعارة التي ضمنها الشطر الثاني واصفاً المال بأنه يبكي لعدم بقائه في يد الممدوح، فهو يظلمه بإنفاقه ووصوله إلى أيدي الآخرين.

ولما سافر خاله علي بن محمد إلى المغرب خاطبه قائلاً:

عَلَامَ هَجَرتَ شَرْقَ الأَرْض حَتَّى أَتَيْتَ الغَرْبَ تَخْتَبِرُ العِبَادَا

فَكَانَتْ مِصْرُ ذَاتُ النِّيلِ عَصْراً تُنَافِسُ فِيكَ دِجْلَةَ والسَّوَادَا [2]

يقول التبريزي: "هجرت شرق الأرض وأتيت الغرب، كأنك بذلك تختبر أهل الأرض، وكنت في الدهر القديم تسافر إلى مصر فتنافس فيك دجلة وبلادها، أي العراق" [3]. فذكر (مصر) المحل وقصد أهل مصر، وذكر دجلة والسواد وأراد أهلها في العراق، وذلك للمبالغة في محبة الناس له حتى شملت المكان بأكمله.

وتابع في نفس القصيدة قائلاً:

وإِنْ تَجِدِ الدِّيَارَ كَما أَرَاد الْـ غَرِيبُ فَمَا الصَّدِيقُ كَمَا أَرَادَا

فلِلشَّـامِ الـوَفَاءُ وإِنْ سِـوَاهُ تـوَافـى مَنْطِقاً غـدَرَ اعتِقَـادَا [4]

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص511.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 785.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 785.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص788- 790.

فهو يدعو خالـه أن يبقى وفياً للشام وأهلها، فذكر (الشام) وأراد أهل الشام، وأبو العلاء ظل متمسكاً بالوفاء للأماكن التي عاش فيها، والدليل على ذلك أنه لما عاد من بغداد ظل وفياً لها ولأهلها فقال في مدينة السلام:

مَتَى سَأَلَت بَغْدَادُ عَنِّي وأَهْلُهَا فإنِّيَ عَنْ أَهْلِ العَوَاصِمِ سَآلُ [1]

فبغداد لا تسأل عنه وإنما الذي يسأل عنه أهلها وسكانها، وهذا ما قصده أبو العلاء، فهذا مجاز مرسل علاقته المحلية حيث ذكر المحل وأرد الشيء الذي يكون فيه.

ولما رثى ابن عمه ابن المهذب ذكر فضيلته وسجاياه، وشبهها بفضيلة الربيع والورد والأزهار فقال:

تَشْتَاقُ أَيّارَ نُفُوسُ الوَرَى وإنّما الشَّوْقُ إلَى وَرْدِهِ [2]

فالمجاز في قوله (أيار) مجاز مرسل علاقته المحلية، حيث ذكره وأراد ما يكون فيه، ولا تكمن فضيلة أيار فيه بحد ذاته، بل بما فيه من الورود والأزهار.

6- الحالّية: وهي عكس العلاقة السابقة، وذلك فيما إذا "ذكر لفظ الحالّ وأريد المحل، لما بينهما من ملازمة" [3]. أي المعنى الوضعي يكون حالاً في المعنى المجازي، كقوله تعالى (ففي رحمة الله هم فيها خالدون)، أي جنة الله، وكقول أبي العلاء في وصف السيف:

وَكُلِّ أبيضَ هِنْدِيٍّ بِهِ شُطُبٌ مِثْلُ التَّكَسُّرِ فِي جَارٍ بمُنْحَدَرِ

تَغَايَرَتْ فِيهِ أَرْوَاحٌ تَمُوتُ بِهِ مِنَ الضَّرَاغِمِ والفُرْسَانِ والجُذُرِ [4]

فقد ذكر (أرواح) وأراد بها الأحياء لا ما يقابل المادة وتحيا بها الأنفس لأن أرواح البشر لا تموت، والأرواح هنا من باب تسمية الشيء باسم ما في صفته من المعنى، ونحوه الخضرة للنبات، والرائحة للطيب.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1253.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1019.
[3]- عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 357.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 156 – 157.

وقد ورد المجاز المرسل بعلاقته الحالية في كثير من الصور التي عبر فيها عن القلب والعقل بما يحلّ فيهما من أشياء، من ذلك استعمال الشاعر للسرائر والضمير بمعنى القلب:

وَمُضْطَغِنٍ عَلَيْكَ وَلَيْسَ يُجْدِي وَلَا يُعْدِي عَلَى الشَّمْسِ اضْطِغَانُ

وَرُبَّ مُسَاتِرٍ بِهَوَاكَ عَزَّتْ سَرَائِرُهُ وَكُلُّ هَوىً هَوَانُ [1]

أي ربّ عدوّ ساترك العداوة وداجاك، ثم أعرض عن عداوته إلى هواك، فعزّت به سرائره وشرفت ضمائره، والشاهد في قوله (سرائر)، أي القلب الذي تحل فيه السرائر، وقد خصها بالذكر لأنها تكون فيه.

أما العقل فقد طوى الشاعر ذكره وذكر ما يحل فيه من الحلم وسداد الرأي:

أَرَحْتِنِي فَأَرَحْتِ الضُّمَّرَ القُودَا والْعَجْزَ كَانَ طِلَابِي عِنْدَكِ الجُودَا

وَقَدْ أَنِسْتُ إِلَى حِلْمِي وَأَوْحَشَنِي كَرُّ العَوَاذِلِ تَأْنِيباً وتَفْنِيدَا [2]

فهو بعد أن ارتاح وعرف مصيره بعدم وصال المحبوبة، عاد إلى رشده وعقله، فذكر الحلم وهو لا يقصده بل يقصد العقل، والشاهد في قوله (حلمي)إذ ذكر الحال وهو الحلم، وأراد المحل (العقل) لأنه يكون فيه.

7- المجاورة: وذلك فيما إذا "ذكر الشيء وأريد مجاوره" [3]. أي المعنى الوضعي للمعنى المذكور مجاوراً للمعنى المجازي، فيعبر بالمجاور عما يجاوره، وقد وردت هذه العلاقة في قوله واصفاً قوة خيل ممدوحه:

مُكَلِّفُ خَيلِهِ قَنْصَ الأعادِي وَجَاعِلُ غابِهِ الأسَلَ الطِّوالا [4]

فقد شجع الممدوح خيله بكثرة ممارسة الحروب، فصارت في الإقدام كالأسود تقتنص الأعادي وتفترسها، والشاهد في قوله (خيله) والمراد فرسان الخيل، فهي لما كانت مجاوِرةً

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 187 – 188.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1093.
[3]- عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ص 358.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 42.

لأصحابها في كل تحركاتهم جعلها معهم تخوض الحرب وتقتنص الأعداء وذلك على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة بينهما هي المجاورة ليبين شجاعة فرسانه وقوتهم، فإذا الخيل هذا حالها فكيف هو حال الفرسان.

وفي سياق المديح يقول:

واسْتَزْرِ بِالبِيضِ الحِسَانِ ولا يَكُنْ لَكَ غَيْرُ همّةِ صَارِمٍ أو لَهْذَم

المُتَّقِي بالْخَيْلِ كُلِّ عَظِيمَةٍ والمُسْتَبِيحِ بِهِنَّ كُلَّ عَرَمْرَم [1]

فالهمة لا تكون للصارم أو اللّهذم، وقد أطلقها عليها أبو العلاء وقصد صاحب السيف أو اللّهذم.

8- الخصوص: وهو "كون اللفظ خاصاً بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو ربيعة وقريش" [2].

ومن أمثلة علاقة الخصوص قول أبي العلاء:

إلى مَنْ جُبْتُ والحَدثانُ طاوٍ قَبَائِلَ عَامِرٍ لا كُنْت عَامِ [3]

فالمجاز في قوله (عامر) مجاز مرسل علاقته الخصوص فاللفظ خاص بقبيلة عامر بن صعصعة، يقول البطليوسي "أراد عامر بن صعصعة" [4].

ومن أمثلة النسق نفسه قوله أيضاً:

وَجَعَلْتِ فِيَّ لمَالِكٍ طَمَعاً وَنَهَيْتِ عَن رِضَوانَ آمالِي [5]

فالمجاز في قوله مالك ورضوان، مجاز مرسل علاقته الخصوص، إذ المقصود بمالك هو خازن جهنم، والمقصود برضوان خازن الجنة.

[1]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 330. الصارم: القاطع من السيوف، واللّهْذم: الماضي.
[2]- الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 254.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1453.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص1453.
[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 887.

9- التعلّق الاشتقاقي: "وهو إقامة صيغة مقام أخرى" [1]، ومن أنواعه المذكورة في شعر أبي العلاء:

1- استعمال فعيل (صيغة مبالغة اسم الفاعل) في اسم المفعول:

وَلَوْ كَتَبَ اسْمَهُ مَلِكٌ هَزِيمٌ عَلَى رَايَاتِهِ وَالَى الفُتُوحَا [2]

يقول الخوارزمي: "في أساس البلاغة جيش مهزوم وهزيم" [3]، واستعمل أبو العلاء (هزيم) بمعنى (مهزوم)، واسم الممدوح لو كتبه ملك مهزوم على راياته لحقق النصر تلو الآخر.

2- استعمال المصدر في معنى اسم المفعول: فقال يخاطب أبا أحمد عبد السلام بن الحسن البصري:

أَرَاكَ أَرَاكَ الجِزْعِ جَفْنُ مُهَوِّمٍ وبُعْدُ الهَوَى بُعْدَ الهَوَاءِ المُجَزَّعِ [4]

يقول التبريزي: "المعنى أن جفنك أراكه في الحلم، وبُعد الهوى –وهو المحبوب– مثلُ بعد الهواء المجزّع الذي يظهر فيه النجوم" [5]، و(الهوى) جاءت مصدر بمعنى المهوي.

[1]- الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 254.
[2]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 259.
[3]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 259.
[4]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1506.أراك الأولى: من الرؤية، والثانية: ضرب من الشجر، التهويم: النوم الخفيف،
[5]- المعري أبو العلاء: شروح سقط الزند، ص 1506.

الخاتمة و النتائج

وإيجازاً لما سبق فإن الصورة الكنائية والمجازية المرسلة عند أبي العلاء المعري تتميز بالدقة والإحكام، وتعكس رؤيته اللغوية وإحساسه المرهف بالأشياء من حوله، فهو يطيل التفكير والتمحيص، يطيل صورته تارةً ويشققها تارةً أخرى، حتى يستنفذ طاقته التعبيرية فيها، وهو في هذا لم يخرج عن البيئة المحيطة به فأبدع في وصف ما حوله من الأشياء الحسية والذهنية، وخاصة أدوات الحرب كالسيف والدرع، فجاءت كناياته معبرة عن المعادل الحسي للصور العقيلة المجردة، وقد بناها على لوازم الألفاظ، ونقل المعنى بأسلوب غير مباشر، فبعضها غامض يحتاج إلى إعمال العقل ودقة النظر، وبعضها واضح سهل لا تقعر فيه، كما جاءت صور المجاز المرسل بعلاقاته المتعددة معبرة عن عقله وإحساسه، واستطاع من خلالها نقل الألفاظ من المعنى الأول إلى المعنى الثاني من خلال علاقات تربط بين المعنيين.

وخلصت في نهاية هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

1- تمثل الكناية لدى أبي العلاء المقدرة الفنية على استخدام الألغاز والألفاظ، والتصرف فيها، خصوصاً في استخدام المشترك اللفظي الذي اختزنت حافظته الكثير منه، مما مكنه من التعبير عن الأشياء التي لم يستطع التصريح عنها مباشرة.

2- تنوعت صيغه بين الكنايات المبتكرة النابعة من قريحته وذهنه، والكنايات المحفوظة من الآثار والمعارف التي اطلع عليها.

3- كما لم يتقيد بعلاقة مخصوصة من علاقات المجاز المرسل بل تنوعت استخداماته له وتعددت.

المصادر و المراجع

1- القرآن الكريم.

2- تيمور باشا، أحمد. أبو العلاء نسبه وأخباره وشعره ومعتقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة – 1940.

3- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة، 2004.

4- ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مطابع يوسف بيضون ببيروت، (بدون تاريخ).

5- الجندي، محمد سليم. الجامع في أخبار أبي العلاء المعري، تحقيق: عبد الهادي هاشم، ثلاثة أجزاء، دار صادر، بيروت، طبع بإذن من مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، 1991م.

6- حسين، طه. تعريف القدماء بأبي العلاء، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

7- الحمصي ، محمَّد طاهر. مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1407هـ – 1986 م.

8- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، عشرون جزءاً، الطبعة الأخيرة، مطبوعات دار المأمون، راجعته وزارة المعارف العمومية، مصر، 1936.

9- الزركلي، خير الدين. الأعلام، ثمانية أجزاء، الطبعة 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

10- عتيق، عبد العزيز. في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

11- فاخوري، محمود. موسيقا الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1416 هـ-1996م.

12- مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ثلاثة أجزاء، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد.

13- المعري أبو العلاء. شروح سقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1406 هـ - 1986 م، طبعة ثالثة مصورة عن نسخة دار الكتب، 1364هـ - 1945 م.

- شرح لزوم ما لا يلزم، ثلاثة أجزاء، تحقيق: سيدة حامد ومنير المدني وزينب القوصي ووفاء الأعصر، إشراف ومراجعة الدكتور حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1992- 1994م،

14- أبو موسى محمد. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1993م.

15- الهاشمي، السيد أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق الدكتور يوسف الصميلي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت.

16- اليازجي، كمال. أبو العلاء ولزومياته، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1988.